

لعبة الاقواس

بقلم: سيد سعيد

شيء من الضيق الى قلبها كما لو كانت قد سقطت من الجحيم سحابة لطخت صفو سماء راكدة ..

- ماذا تقول يا عزيزي ؟

- انا واثق انه يخدعه .

- يخدعه !! .. عن تتحدث ..

- القوس ..

ازدادت موجات الدهشة فشملت وجهها كله وسقط الضيق في قدميها فتوقفت عن السير ..

- قوس ؟ .. انك تقول أشياء غامضة .

ابتسم في خجل كرجل ضبطوه يحدث نفسه ... قال وهو يدلها للاستمرار في السير ..

- لا شيء .. لا شيء يا عزيزي ..

لا تهمني .. عن ماذا كنت تتحدثين ؟ .. من السعادة ..

استمرى ..

شدت قبضة يدها حول خصره .. قالت يحسن العاشقة وقد عاودها هدوءها ..

- ماذا يقاقلك يا حبيبي .. كنت

أتحدث عن السعادة بالطبع .. سعادتنا انا وانت .. سيكون لدينا عش هادي واطفال كثيرون .. هل تحب ان أنجب

آ .. ليس ثمة غم الليلة ولكن كل شيء يبدو واضحا ومضيئا .. اليس كذلك يا عزيزي ؟ .. لو كان في الامكان ان نفلل نسير هكذا متلاصقين كشقي قوله .. اذن تمنيت ان افعل ذلك مدى العمر .. ومع ذلك فالحياة قصيرة للأسف .. أقصر مما نريد دائما .. لا يهم .. تكفيني لحظة مضبوطة من حياتي .. لا يهم أبدا ان نموت اذا كنا نستطيع ان نحصل على بضعة لحظات من السعادة ..

لفت ذراعها حول خصره كأنها تحتضن حلمها فالتت تنظره طويلا واستطردت نهاية سخيقة ان نموت ومع ذلك فلن يموت الربيع أبدا .. وفي ليال كثيرة كهذه يهدأ فيها البحر كأنه في اجازة .. وفي استطاعة السماء ان تكون صافية الى هذا الحد .. ما أروع الحياة هكذا .. لماذا لا تنظر الى هه ؟ .. اشعر بالتمتع بسطوع داخل قلبي هذه الليلة .. فهم تفكر يا حبيبي ..

قال في هدوء يجذب كلماته من فاع قلبه مباشرة .

- اعرف انه لن يأتي السبت أبدا .. دوت كلماته في راسها الصغير فصنعت موجات ذهشة فرق جيبتها ودنعت

ضحكت كأنه داعبها ... سألته وهي
تلقى برأسها على كتفه ..
- وما شأننا به ؟

- عاد يجذب كلماته من قلبه ..
- قال له احضر يوم السبت ..
- قل لمن ؟ ..

- رجل بسيط .. أنا واثق أنه يحمل
فوق رأسه كل كآبات الحياة .. انسان
بلا عمل .. حضر منذ شهر وقابل
القوس .. كان في عينيه مهابة وفي كلماته
استرحام .. هز له القوس رأسه وقال
حسنا .. احضر بعد غد .. وقبل أن
ينصرف الرجل سأله القوس .. هل
تستطيع أن تشتري لي اقة لحم ؟ ..
هكذا يا عزيزتى ..

بالطبع أنا أحب الأطفال كثيرا لماذا
لا تتحدثين عنهم ؟ .. من أطفالنا ..
قالت وقد استدارت الدهشة داخل
عينها .

- أطفالنا ؟ ..

ثم استدركت بأسمة .. أوه ..
سيأتون بلا شك .. ولكن ماذا يريد
الرجل من قوسك هذا ؟ ..

- وظيفة .. يريد وظيفة .. عندما
حضر له بعد يومين .. أخرج القوس
ورقة ثم كتب اسم الرجل وسنه بعناية
وقال له اطمئن .. سأكلم اليه في
الموضوع ... هل تسدي الى خدمة
فتحضر الولد من المدرسة .. آسف
يا عزيزتى .. فقد أفسدت انسجام
احلامك .. ولكن الأمر مؤلم لى أشد
الأمم .. لقد فكرت في أن استدعى
الرجل وأشرح له اللعبة .. أنا واثق

لك أطفالا كثيرين .. أعني أطفالا
يشبهونك .. كم ولدا تريد وكم بنتا ..
هه ..

عيونه ما زالت تنابع مقدمة حدائه ..
لا شيء يشير فيه الخيال .. لا صفاء
الليل ولا شاعرية الشاطئ في ليلة
مطيفة بدون ثمر ولا الصوت الدافئ
الذي ينساب بالأحلام الى جواره ..
ثم فجأة دوت الكلمة ..
وهم :

دق الغضب في قلبها مع الدوى ..
وعادت التقطية تضغط جيئها ..
بينما كانت تعبر السماء بالفعل سحابة
داكنة ..

- وهم .. ؟ اليس هذا كثيرا ؟ ..
انت غريب هذه الليلة ..

تلقت إليها في حزن وأرباك كأنه وطأ
حيوانا رقيقا دون قصد ..

- آسف يا عزيزتى .. هبل كنت
لا تزاين تتحدثين عن السعادة .. لم
أكن أقصد ذلك ..

كنت أفكر في القوس ..

قالت وشعور الدهشة ما زال يشد
حاجبيها ..

- قوس .. ؟ ما هذا .. ؟ اي قوس
تعنى .. ؟

- الأستاذ مرزوق ..

- من مرزوق هذا .. ؟

- رئيس في المكتب ..

- هل اسمه مرزوق القوس ؟ ..

- كلا .. ولكن اذا نظرت اليه من
الامام ستجدينه يشبه القوس .. هل
تعرفين القوس .. شيء منتفخ من
الوسط .. نصف طولي لشعاعه ..

يجعل كل شيء لا يحتمل اذا ظلمنا نفكر في
الاسباب فان يكون لدينا وقت لأن
نعيش وأن نحب ..

— هذا صحيح ولكنه بغيض .

— ما هو البغيض ؟

— أن أجد نفسي مضطرا لقتل أحد
الناس .

قالت في جرع محقون بالشك .

— هل تنوى أن تقتل أحدا .

— اشعر احيانا برغبة في قتل القوس

بل كل الأقواس .

— لماذا ؟

قال يحاول أن يزوغ .

— ليس دائما تكون الحياة في الليل

والسحرة بدون ثمر ..

— لا بد أن يكون هناك سبب ..

— دائما كل شيء له سبب .. وذلك

لماذا تنظرين الى الأرض ؟

— أفكر في القوس ..

— لماذا ؟

— كنت أقول أنه لا بد أن يكون هناك

سبب يجعلك تكره بعض الناس هكذا ..

أتى اكبر هذه اللحظة فأنها تفصلك

عني .

— هل قلت لك ان اختا لي ماتت ؟

— كانت أختك الوحيدة ..

— قتلتها رجل منتفخ البطن ... كتلة

ضخمة من اللحم تشبه القوس ..

ذهبت اليه ذات يوم ولوق ظهرى

نصف جوال أروى وعندما طرقت بابه

نظر الى في دهشة ثم منحني نصف

قرش وألقى الباب في وجهي .. نزلت

أعد درجات السلم .. كانت خمسة

وأربعون درجة ..

أنه بخدعه .. فانا اعرف هؤلاء الناس
جيذا .. اعرفهم أكثر من أى انسان
آخر .. فقد حدث لنا نفس الشيء ذات

يوم ..

قالت وهي تلث خلف كلماته

الحزينة .

— يبدو أنك تخفى في قامك أشياء

بغبيضة .. لماذا لا تحدثني عنها ؟

أسأنا شتى قوله ؟ ..



— أنت ترين دائما أن الحياة مضطربة

ولهذا فانا أستعير عينيك حينما أكون

معه ..

— ولكن اذا كانت ثمة أشياء تؤلك فان

هذا يشعروني بالتماسة .

— الألم في حد ذاته لا يعنى شيئا

بقدر ما يضطرون الى كراهية بعض

الناس .

— لكن بعض الناس جديرين

بالكراهية .

— متى حدث ذلك ؟ ..

— في كل لحظة .

— اييه .. ؟ ..

— انصد اننى اذكر ذلك في كل لحظة

كنت في الحادية عشر تماما عندما خرجت
بها عربة اسعاف تدبى لها جرس
مخنوق ... كان منظرهما مخيفاً ..

العربة وأختى .. كان وجه أختى
وصدرها قد تحول إلى ما يشبه ورق
الكوريشة الأسود ..

هل تعرفين ماذا حدث منذ اسبوع ؟ ..

— ورق الكوريشة الأسود !!! .

— قال القوس الرجل .. هل لديك

رخصة سوانة .. حسن لا تعتقد ان
الحصول على وظيفة سائق بالشركة
بالمساواة السهلة .. لابد من بضع ترتيبات
لذلك ثم همس في اذنه ببضع كلمات
لعباية ..

وفي اليوم التالي حضر الرجل حاملاً
لثلاث زجاجات كبيرة من الوسكى ..

كانت امى تجرى خلف العربة تعوى
أما ابى فقد أخذ يمسح رأسه بالحائط
ككلب أجرب . أما انا فقد التف حولي
بضع صبية راحوا ينظرون الى في
وجوههم ..

— هل كنت تبكى ..

— كلا .. كان ذلك صعباً على ..

ولكن بعد شهر ظلت أضرب رأسي
بالحائط وابكى حتى يتناهى الأضواء .

— ما أفظع ذلك .. هل قلت ان رجلاً

قتلها ؟ ..

— ماتت محترقة .. كان ابى هو

السبب .

— ابوك ؟ ..

— كان لجار مراكب يهيمه حتى الموت

الحصول على عمل ثابت .. كانت لعنة
بصقها شيطان من اقارب امى فوق ورقة
قدمها ابى ذات يوم لرجل له رأس كبيرة
وبطن منتفخة وعينان حمراوان ..
رجل له أهمية .. وابى يريد الحصول
على عمل ثابت والعمل موجود عند هذا
الرجل .. والمطلوب شيء من التصرف .
هكذا قال قريب امى وهو يقدم لأبى
التوصية ..

قال الرجل لأبى .. يمكنك ان تمر
على بعد اسبوع .. قل لقريبك ان يحضر
لنا نصف جوال أرز .. قال ابى لقريبنا
صاحبك يريد نصف جوال أرز فمر
قريبنا لأبى قائلاً .. اذن تصرف .

حملت انا نصف جوال الأرز وذهبت
بها الى منزله وانتظرنا بعد ذلك اسبوعاً
— هل حصل ابوك على عمل ؟ ..

— ذهب ابى بعد اسبوع وعاد يطلب
منى ان اذهب بصفيحة سمن وبعد
يومين كان ابى يشوى له الخضار
ولوازم البيت ثم قمت انا بهذه المهمة .
كنا جميعاً كالكلاب تلث خلف قطعة لحم
في يد رجل يسير وهو يتشم .. لم
يطردنا ولم يقدمها لنا .. بل جعلنا
نسير خلفه وعيوننا معلقة بقطعة اللحم
على أمل ان يلقيها الينا يوماً ..

قال ابى لأمى ذات يوم .

— البية يريد احداً لتنظيف شقته ..
هربت الخادمة التي منسده .. هل
تستطيعين الذهاب ؟ ..

— قالت امى .. الى مريضة .. هل
تذهبن يا عائشة .

نظرت عائشة الى ابن فاستدتمت
بنظر انه الدليلة فذهبت في اليوم التالي .
ثم ظلت تذهب بعدها كل يوم .. وفي ذات
يوم همست عائشة في اذن امي بطبع
كلمات .. دثت امي صدرها بعدها ثم
همست بها في اذن امي .. جزع امي
في البداية ثم قال ببساطة ..

— هل يعقل ذلك ؟ رجل كبير في المقام
مثله .. انت واهمة يابنيتي .. اذهبي
كلها اسبوع بعدها ياتي الفرج .

— هل حاول الرجل شيئا ؟ .. لماذا
صمتت ؟ .. هل تبكي .

قال كانه يعوي .
— اتسم انها كانت طفلة .. كانت
عائشة لا تزال طفلة لم يتضح نديها
بعد .. لم اكن اياها ادرك اشياء كثيرة
يعبر عنها وجه فتاة طفلة تذهب وحدها
الى شقة رجل .. ولكني كنت اشعر
بان شيئا ما مؤلما ومهينا يحدث لها ..
انطفأ بريق الطفولة في عينيها ..
وسقطت اعدابها على عينيها في كآبة ..
اصبحت كوردة داستها اقدام خنزير
انها ليكي الان .. لحاول ان تكلم تشجيعا
الصخري .

— الان ؟ .. قلت انها ماتت .
— احرقت نفسها .. ولكنها لم تمت
داخل راسي .

انقطع الصديق بينهما فجأة ولفهما
الحزن برداء الصمت وسارا مطرقي
الرأس ينصتان الى وشوشة موجبات
البحر مختلطة بوقع اقدامهما غير
المنتظمة بينما كانت مساحات سحيقة
من الزرق الداكنة تتنفس اصوات
غريبة .. ربما كانت اصوات الليل .
قال وهي تغرز كمب حداثها في الرمال
الوطية ..

— هل للرجل أخت ؟ ..

— أي رجل ؟ ..

— ذلك الذي ياتي لرئيسك في
المكتب .

— وربما زوجه .. وربما ليس أحد
ولكنها لعبة دنية .. اليس كذلك ؟ ..

— ليست اللعبة الوحيدة على أي حال
ومع ذلك ليلي الحياة ملايين من الأشياء
الطيبة .. يجب ان نهتم بهذه الأشياء .
فاتها تخلف من مرارة الحياة .

— عندما نفوس المرارة عميقا في قلبك
فتدفع بالحقد الى عروقك سوف
تجد من الصعب التحدث عن الأشياء
الطيبة وطالما هناك اقواس في العالم
فستظل الحياة مريرة .. لا بد من تدمير
كل الأقواس في العالم .. ان يفسد
اللعبة الا الدم .. فيكل ما لدينا من حقد
سنجعل الحياة طيبة ..

— بل بكل ما لدينا من حب .

— أنت تفكرين بعقيلة امرأة .

— وأنت تفكرين برأس الحقد .

— الحقد هو الوسيلة الوحيدة
لتنظيف الحياة .

— الحب بضء الحياة في ليلة ليس لها
قعر .

— ترهات .. هل يمكن ان يقوم الحب
على تل من العفن .. نظفي الحياة أولا
وسيكون الحب بعد ذلك أكثر اشراقا .

عاد الصمت يحتوي قلبيهما فجأة ..
ولكنهما عادا فقلا جملة في نفس
الوقت .. اختلطت كلماتها فحاول كلاهما
ان يدع الآخر يتكلم فلماذا بالصمت ثم
قال كل منهما للآخر .

— ماذا كنت تقول .

— فقال كلاهما .

— لا شيء .. لا شيء ..